الفصل الأول

- العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية في المغرب الأقصى مراكش – فاس – سبتة – طنجة – سجلماسة – أغمات وريكة

- عوامل جغرافية
- عوامل سياسية
- عوامل اجتماعية

- وسائل النقل واهم الطرق الداخلية (برية – نهرية – بحرية)

obeikandl.com

العوامل المؤثرة في مراكز التجارة الداخلية في المغرب الأقصى

- **عوامل جغرافية :**

قد تؤثر تأثيراً مباشراً في مراكز التجارة الداخلية والخارجية ، حيث يلعب الموقع الجغرافي للمدينة دوراً أساسياً في التجارة والحركة الاقتصادية، ويؤثر موقع المدينة على نشاطها التجاري.

- **مدينة مراكش[1] :**

كان اختيار موقع مدينة مراكش قاعدة لدولة المرابطين ثم من بعدهم لدولة الموحدين أثره في التجارة، فاختيارها عاصمة للدولة ساعدها عن موقعها الجغرافي، فقد ذكر عماد الدين إسماعيل أبو الفداء صاحب حماة في تقويم البلدان : " مراكش محدثة بناها يوسف بن تاشفين في صحراوية وجلب إليها الماء وأكثر الناس فيها البساتين فكثر وخمها ولا يكاد الغريب يسلم فيها من الحمى ، وجنوبي مراكش جبل درن وشماليها سلا وغربيها البحر المحيط وشرقيها الجهات التي بين سجلماسة وفاس، ودور مراكش (مساحة مراكش) سبعة أميال (١٢.٩٨٥كم) ولها سبعة عشر باباً وحرها شديد وهي في شمال أغمات بميلة يسيرة إلى الغرب وبينهما نحو خمسة عشر ميلاً (٢٧.٨٢٥)[2] ". وقد ذكرها صاحب (الاستبصار في عجائب الأمصار) وابن أبي زرع في روض القرطاس : " مدينة مراكش كلأها الله هي اليوم حاضرة بلاد

---

(١) مراكش : معناها بالبربرية أسرع المشي . ياقوت الحموي : معجم البلدان ٩٤/٥ . ومراكش بفتح الميم وتشديد الراء وفتحها وألف ساكنة ثم كاف ثم شين بعده ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٤ . وقد ضبط هذه الكلمة صاحب كشف الظنون : مراكش بضم الميم وفتح الراء المشددة بعدها ألف وبعد الألف كاف مكسورة ثم شين معجمه . العباس بن إبراهيم التعارجي السملالي قاضي مراكش: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام ، المطبعة الملكية، الرباط ، ١٩٧٤م ، ج ١ ص ٨٣ .

(٢) أبو الفداء : المصدر السابق ، ص ١٣٥ . الميل : ١.٨٥٥ كم عند الحنفية والمالكية (علي جمعة : كتاب المكاييل والموازين الشرعية ص ٢٠- ٧٠)

المغرب ودار مملكتها ، وهى مدينة عظيمة في بسيط من الأرض وأسسها يوسف بن تاشفين سنة تسع وخمسين وأربعمائة[1] " . واستولي عليها الخليفة أمير المؤمنين عبد المؤمن بن على سنة ٥٤١هـ . وعلى ثلاثة أميال(٥.٥٦٥كم) منها وادي نهر تانسيفت منبعه من بلد أغمات هيلانة ، ويصب في وادي أغمات وريكة ، ووادي نفيس . ومصب النهر في ساحل رباط قوز علي المحيط ... وبينها وبين جبل درن نحو العشرين ميلا (٣٧.١كم) ، وهى كثيرة الزرع والضرع ، محرثها دكالة (تمدها بالزراعة)، وجنتها نفيس (تمدها بالفاكهة) ، وحولها من البساتين والجنات التي يسمونها البحائر لعظمها مالا يحصى كثرة ، وإنما بناها واضعها ليملك منها جبل درن لكثرة من يعمره(من قبيلته)"[2]

ومدينة مراكش اليوم(في عصر دولة الموحدين) من أعظم مدن الدنيا بهجة وجمالاً بما زاد فيها الخليفة الإمام عبد المؤمن بن على وخليفته يوسف ابن عبد المؤمن وخليفتهما يعقوب[3] . وقد زاد الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن مدينة أخرى تقارب الأولى في قبلتها وكانت بحائر عظيمة فبناها قصوراً وجامعاً وأسواقاً وفنادق وجلب التجار إلى قيسارية عظيمة لم يبنى في مدن الإسلام أعظم منها ، وأمر بعمارتها أول سنة خمس وثمانين وخمسمائة .

ومدينة مراكش أكثر بلاد المغرب جنات وبساتين وفواكه وجميع الثمرات، وكانت قبل ذلك يطير الطائر حولها فيسقط من العطش والرمضاء ، وأكثر شجرها

---

(١) العباس بن إبراهيم : نفس المرجع ،ج١ ص ٥٧ .
يذكر ابن أبي زرع :ان يوسف ابن تاشفين اشتري موضع تأسيس مدينة مراكش من كان يملكه من المصامدة سنة ٤٥٤هـ فسكن الموضع وبني فيه مسجداً للصلاة وقصبة صغيرة لاخزان أمواله وسلاحه ولم يبني علي ذلك سور . ولم يكن بها ماء فحفر الناس بها آبار يخرج لهم الماء علي قرب فأستوطنها الناس ولم تزل كذلك لامور فلما ولي بعدة ولدة بني سورها في ثمانية أشهر . ثم أصقل في بنائها ومصانعها أمير المسلمين يعقوب المنصور بن يوسف بن عبد المؤمن الموحدي أيام ملكه بالمغرب ، ولم تزل مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم ... (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص١٧٥) لقد اختلف في تأسيس مدينة مراكش بين ٤٥٩ هـ، ٤٧٠هـ (ياقوت الحموي : معجم البلدان ح ٥ ص ٩٤ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ،ج١ ص ٢٣٣) وسنة ٤٥٢هـ ، و٤٦٣هـ ، و ٤٧٥هـ ، و٤٨٠ هـ (العباس بن إبراهيم : نفس المصدر ، ج١ ص ٦١)

(٢) العباس بن إبراهيم : المصدر السابق ، ص ٥٧ – ٥٨

(٣) العباس بن إبراهيم : المصدر السابق ص ٥٨ .

الزيتون وفى مراكش من الزيتون والزيت ما تستغني به عن غيرها من البلاد وتمير بلاداً كثيرة وكان زيتها قبل اليوم دهن من الهرجان[١] . لأنه بتلك البلاد كثيراً جداً ، وزيتون مراكش أكثر من زيتون مكناسة ، وزيتها أرخص[٢] .

- **مدينة فاس :**

تتمتع مدينة فاس بموقع هام حيث تقع عند النقطة التي يتقاطع عندها محوران ، رئيسيان أحدهما يمتد من الشمال إلى الجنوب يربط البحر المتوسط ومدن الجنوب ، والآخر هو المحور الذي يربط بين ساحل المحيط الأطلسي والمغرب الأوسط[٣] فضلاً عن سيطرته على واد سبو .

ويصفها اليعقوبي بقوله :" انه يدخل إلى المدينة العظمى التي يقال لها افريقية علي النهر العظيم الذي يقال له فاس بها يحيي بن يحيي بن إدريس بن إدريس وهى مدينة جليلة كثيرة العمارة والمنازل ومن الجانب الغربي من نهر فاس وهو نهر يقال انه أعظم من جميع أنهار الأرض عليه ثلاثة آلاف رحى تطحن (الحبوب) "[٤].

---

(١) تعريب كلمة أركان البربرية ، وهو نوع من الزيتون البرى الذي يوجد بكثرة في تلك الجهات . (العباس بن إبراهيم : نفس المصدر . ج١ ص ٥٩)

(٢) العباس بن إبراهيم : نفس المصدر السابق ص ٥٩ .

(٣) عماد الدين إسماعيل صاحب حماة أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣،

ويشير بعض المؤرخين أن موقع مدينة فاس كان مدينة قديمة أسست في العصر الروماني لتكون مركزاً تجارياً وأنها ليست مستحدثة

(Blacher(R):Fes chez les Geographes Arabs de Moyen Age, Peris , F.18 pp 41-49.)

ويذكر ابن أبى زرع قصة اليهودي الذي كان يحفر أساس داره بالمدينة فوجد تمثالا من الرخام لجارية وقد نقش عليه عبارة " هنا موضع حمام عمرة ألف سنة ثم خرب فأقيم موضعه بيعه للعباد " (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٣٨)

وقد اختلفت المصادر في ذكر سبب تسميتها بهذا الاسم ، فمرة يعزونه إلى فأس وتشير إلى أن الإمام حين كان يعمل مع الصناع صنع له فأساً من ذهب ، وآخرون يرون أنها ترجع لأن فأساً كبيراً وجدت عند حفر الأساس. (ابن أبى زرع : المصدر السابق ص ٤٥ ، الجزنائى: جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص ٢٤، ابن الآبار : الحلة السيراء . جزءان ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، الطبعة(٢) ، القاهرة ١٩٥٨ ص٥٥)

(٤) أحمد بن يعقوب بن راضح الكاتب المعروف باليعقوبي : كتاب البلدان ، اعتناء دى خوية ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩٢م ص ٣٥٧ -٣٥٨ .

وكان لموقع فاس المتوسط أثره في أن تكون مركزاً لنشاط تجارى بين شرق المغرب وغربه وشماله وجنوبه ، وكانت من أهم المدن التجارية المغربية على الطريق إلى بلاد السودان[١] .

- **سبتة :**

ساعد موقع سبتة الجغرافي على نشاطها التجاري ، فهي تقع في الشمال من المغرب الأقصى وتطل على البحر المتوسط ، والذي يعد أكثر نقط المضيق قرباً من العدوة الشمالية (الأندلس) وقد حوت المدينة ثلاثين مرسى من أهمها مرسى المدينة المعروف بحفرة مختار[٢]. وقام هذا الميناء بدور في الحركة التجارية إذ كانت القوافل تصل إليه من جميع بلاد المغرب خاصة من مدينة فاس[٣]. وبذلك أصبح أهم مراكز التجارة الدولية .

وميناء سبته من أشهر الموانئ المغربية ومن المرافئ التي تخرج منها وترد إليها معظم التجارة الخارجية ... كما يعد هذا الميناء طريقاً هاماً للقوافل المتجهة إلى غانة والسودان الغربي[٤] (تسير القوافل من سبتة الي فاس ثم الي سجلماسة ثم الي بلاد السودان لتجارة الذهب) .

- **طنجة :**

ترجع أهمية طنجة كمركز تجارى لوقوعها على طريق التجارة بين المغرب الأقصى والأندلس ، فهي ميناء بحري له أهمية كبرى في المغرب الأقصى يقول عنها ياقوت الحموي : " طنجة بلد على ساحل المغرب مقابل الجزيرة الخضراء على ظهر جبل بينها وبين القيروان ألفا ميل(١٨٥٥كم)"[٥]. بينها وبين ميناء سبتة ثلاثون

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج١ ص ٢٤٦ ، البكري : المغرب ص ٨٨ .

(٢) البكري : المغرب ،ص ١١٤-١١٥، مارمول كرفجال: أفريقيا ج٢ ص٢١٦، عيسى بن الذيب: التجارة في عصر المرابطين ٤٨٠-٥٨٠هـ / ١٠٥٦-١١٤٥م ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٤١١هـ ١٩٩٠م ، ص ١١٨ .

(٣) محمد بن القاسم الانصاري السبتى : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار ، تحقيق عبد الوهاب بن المنصور ، ط٢ ، الرباط ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٣م ، ص ١٥٦

(٤) أمين توفيق الطيبى: النشاط الاقتصادي والعلمي بمدينة سبتة المغربية في القرن ٨هـ/١٤م، مجلة البحوث التاريخية، منشورات مركز دراسة جهاد الليبية ، العدد ٢ يوليو سنة ١٩٨٢م ، ص ٢٩٢ .

(٥) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤٣/٤

ميلاً(٥٥.٦٥كم) في البر وفى البحر نصف مجرى[١] . وقد ساعد موقع طنجة عند المحيط على البحر المتوسط عند مضيق جبل طارق ان تكون ميناء هام.

وقد ذكرها عماد الدين إسماعيل أبو الفداء بقوله " مدينة طنجة على فم بحر الزقاق " واتساع البحر عندها ثلث مجرى فإذا شرق عنها اتسع عن ذلك "[٢] . ويذكرها الاصطخرى بقوله : " طنجة كورة عظيمة تحيط بمدن وقرى وبوادي ومدينتها (عاصمتها) فاس"[٣].

- **سجلماسة :**

تعتبر مدينة سجلماسة مدينة تجارية هامة حيث تربط بين تجارة المغرب الأقصى وتجارة بلاد السودان ، وذلك لموقعها في جنوب مدن المغرب الأقصى ، وبداية الصحراء الفاصلة مع بلاد السودان فكانت مركزاً لنقل التجارات بين السودان وبلاد المغرب[٤]. ويذكرها الإدريسي بقوله : مدينة سجلماسة مدينة كبيرة كثيرة العامر وهى مقصد للوارد والصادر ..."[٥] فمن أراد الدخول إلى بلاد سلى وتكرور وغانة من بلاد السودان[٦] فلابد له من هذه المدينة[٧].

---

(١) الحميري : الروض المعطار ص ٣٩٥ -٣٩٦ ، البكري : المغرب ص ١٠٥ -١١١

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٣، البحر الزقاق: البحر الضيق ، المعجم الوجيز ص ٤٨٤

(٣) الاصطخرى : مصدر سابق ، ص ٣٤

(٤) البكري : المغرب ص ١٧٢ -١٧٤ -١٧٥، أبو الفداء : مصدر سابق، ص ١٣٧ ، الحبيب الجنحانى : المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، عالم المعرفة، الكويت، رقم ٣١٩ لسنة ٢٠٠٥م ، ص ١٥٩

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ج١ ص٢٢٥ .

(٦) سلى وتكرور : (في السنغال) على طريق قوافل من بلدان المغرب عبر الصحراء الكبرى ، أولها الطريق الذي طريق يحاذى ساحل المحيط وينتهي في السنغال (تكرور وسلى) .
(الحميري : الروض المعطار ص١٢٦ ، مؤلف مجهول : الاستبصار ص١٧٨)
غانة : من بلاد السودان بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين ، وهى مدينتان على ضفتي البحر الحلو احدهما يسكنها الملك والأخرى يسكنها الرعية والتجار والسوقة ، وتعتبر من أكبر بلاد السودان قطراً ، وأكثرها خلقاً وأوسعها متجراً ، واليها يقصد المياسير من جميع البلاد المحيطة بها من سائر بلاد المغرب الأقصى ،و أهلها مسلمون .
(الحميري : مصدر سابق ص٢٢٥-٢٢٦) .

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ص٢٢٥ .

- **أغمات[1] :**

كان لموقع مدينة أغمات الجغرافي أثره في التجارة ، فمدينة اغمات قرب مراكش(العاصمة) بثلاث فراسخ(٩أميال)(١٠.٤٤٨كم) في سفح جبل ، وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ومن ورائها إلى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل(١٧٨.٠٨كم) ، ومن سجلماسة ثمان مراحل(٣٥٦.١٦كم) في بحر المغرب ، وليس بالمغرب ، فيما زعموا ، بلد أجمع لأصناف من الخيرات ولا أكثر ناحية ولا أوفر حظاً ولا خصباً منها[2] .

ومدينة أغمات شمال جبل درن ، وهى كانت حاضرة البلاد قبل بنيان مراكش ، وهى من أقصى المغرب، قال ابن سعيد أيضا كانت ملك أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين قبل أن يختط مراكش ويبنيها[3].

- **الوضع السياسي في مدينة مراكش :**

الوضع السياسي من العوامل المؤثرة في الحركة التجارية ، وذلك له تأثير مباشر على مراكز التجارة . فإنشاء مدينة مراكش كان عامل سياسي ، حيث حرص يوسف بن تاشفين أن يتخذها لعسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المقيمة بمواطنهم منها في جبل درن ، إذا لم يكن في قبائل المغرب اشد منهم قوة ولا أكثر جمعا ، ولما جاءت دولة الموحدين ، وكان منهم يعقوب المنصور الشهير الذكر ، اعتنى بمدينة مراكش واحتفل في تشييدها وبالغ في تنمية مساجدها[4] .

وظلت مراكش محل عناية الموحدين ولهذا ففي الوقت الذي كانوا يجهزون فيه على أثار المرابطين بها كانوا يعوضون ذلك بالبحيرات والبساتين والمباني[5] .

---

(١) أغمات : مدينتان سهليتان إحداهما تسمى أغمات ايلان والأخرى أغمات وريكة وبها سكن رئيسهم ، وبها ينزل التجار والغرباء ، وأغمات ايلان لا يسكنها غريب ، وبينهما ثمانية أميال . (البكري : المغرب ص ١٥٣ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٣١- ٧٠)

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢٢٥/١ .

(٣) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٣٥ .

(٤) العباس بن إبراهيم : الإعلام بمن حل مراكش ... ج١ ص ٨٣ .

(٥) عبد الملك محمد بن أحمد بن ابراهيم بن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة مع المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني (استخرجه من مخطوط اكسفور عبد الوهاب التازي ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٤م ، ص ٢٦٦)

وفى العصر الأول لدولة الموحدين من ٥٤١ /٦١٠هـ وضع الأساس عبد المؤمن بن على ثم ابنه يوسف بن عبد المؤمن حيث كانت تجبى الأموال من الخراج دون مغارم ولا جور فكثرت الأموال وأمنت الطرقات وكان يتفقد أحوال مملكته لا يعتمد على أحد من وزرائه[١] .

ففي سنة٥٧٩هـ قام الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بمحاسبة عبد الرحمن بن يحيى المشرف على فاس ، لما علم بظلمه للرعية ، وعدم أمانته في حكمه على المدينة . وكذلك لخازن بيت المال الذهبي ، ولخازنه على الطعام الطرحوقى . وأيضاً محاسبة مشرف مكناسة وابن هود عاملها وابن عمر صاحب المدينة بها . وأيضاً المشرف برباط تازا . ومحاسبة صاحب ملوية على بن مرزبن ، وقاضى المعدن ، وغير هؤلاء . فاستأصل أموالهم ورد للمخزن (بيت المال) ضياعهم ورباعهم ، وترك لكل رجل منهم داراً واحدة ، وأن يردوا أربعمائة ألف دينار ، وستين ألفا يقسطونها على أنفسهم وشد العدول بذلك عليهم فجعل عليهم الرقباء حتى دفعوا المال المذكور[٢] .

وكانت أيام المنصور يعقوب بن يوسف، زينة الدهر والأمن في جميع عمله، حتى أن الظعينة[٣] تخرج من برقة إلى آخر المغرب لا يتعرض لها احد[٤] .

ويجلس الخليفة للمظالم وأغلب الدعاوى من السوقة والتجار ، وهذا يتضح مع كثرة نشاط التجارة تزداد طلب حقوق أصحاب البضائع من التجار[٥] .

= ويذكر ابن خلدون :" إذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها ... فعمر الدولة حينئذ عمر لها . فان كان عمر الدولة قصيراً وقف الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمرانها وخربت ، وان كان أمد الدولة طويلاً ومدتها منفسحة ، فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ، ونطاق الأسواق يتباعد وينفسح ".

(ابن خلدون : المقدمة ، المجلد الأول ص ٦١٠ ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ١٩٨٣ م .)

(١) ابن أبى دينار : المؤنس في أخبار افريقية وتونس ص ١٤٠ -١٤١ ، دار المسيرة .

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب ، قسم الموحدين ص١٥٨

(٣) الظعينة: الدابة يرتحل عليها. (ج) ظعائن.(المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ص ٤٠٠) .

(٤) ابن أبى دينار : المصدر السابق ص ١٤١ .

(٥) ابن عذارى المراكشي : البيان، قسم الموحدين ص ١٧٤

وفى عهد الناصر ، آخر ذلك الثبت من الخلفاء الموحدين الذين اقترنت بعصرهم بعض الأحداث الضخمة الحاسمة[1] (انتصارة علي ابن غانية وهزيمة في موقعة العقاب من الأسبان النصاري) .

وفى عام ٦٠٧هـ ١٢١٠م ، شب حريق كبير بقيسارية بمراكش ، والناس راقدون في مضاجعهم (ليلاً) ، وشبت النار أولا في القيسارية ، وانتشرت بسرعة، وأتت على الحي كله ، فهب الناس مذعورين من نومهم ، وكثر الصراخ والاستغاثة ، ونهض الخليفة الناصر على الضجيج وغادر قصره مسرعاً ، واعتلى صومعة الجامع ليشهد تغلغل النار .

واقتحم الغوغاء كثيرا من الدروب ، وسلبوا ما استطاعوا سلبه مما سلم من الحريق ، واستمر الحريق حتى صباح اليوم التالي ، وقد أتى على كثير من أحياء المدينة . وأمر الناصر في اليوم التالي بتتبع السفلة الناهبين ، واسترداد ما يمكن استرداده منهم ، فقبض على كثيرين من هؤلاء وأعدموا على الأثر وهلك في تلك النكبة كثير من الأموال والدور. وافتقر كثير من ذوى اليسار، وفقدوا دورهم وثرواتهم، وأمر الناصر بأن يعاد تشييد الأحياء المحترقة بأحسن مما كانت عليه [2] .

وفى العصر الثاني من دولة الموحدين ٦١٠/٦٦٨ هـ في بداية حكم يوسف المستنصر بن الناصر، وظهور طلائع بني مرين ٦١٣هـ / ١٢١٦ م . تولى أمير المؤمنين أبو محمد عبد الواحد (المخلوع) ٦٢٠هـ ، وبعد شهرين قام عليه أبو محمد العادل والى مرسية .. وانفتح باب الفتن بين الموحدين .

ثم تولى أمير المؤمنين المأمون (أخو العادل) وهو أول من أدخل جيش النصارى إلى مراكش مستنصراً بهم ودخل معه اثني عشر ألف نصراني (لمحاربة أشياخ الموحدين لبيعتهم ليحيي بن الناصر في مراكش) .

ثم تولى أبنه عبد الواحد الرشيد بن إدريس المأمون ٦٣٠هـ وفى زمانه وقع وباء وغلاء مفرط بحيث بلغ قفيز(٢٤٤٨كيلوجرام) القمح ثمانين ديناراً .

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس عصر الموحدين ، ج ٥ ص ٣٢٥ ، مكتبة الأسرة .

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص ٢٥٧

وتولى المعتضد أبو الحسن على بن إدريس ٦٤٠هـ وفى أيامه كثر جمع بني مرين وقتله الخليفة الموحدي السعيدعلي أبو الحسن . ثم تولى المرتضى بعد موت السعيد وكانت أيامه دعه وهناء. ودخل عليه أبو دبوس فقتله[١] . ثم تولى إدريس بن الرشيد (أبو دبوس) واتفق مع يعقوب بن عبد الحق المريني أن يعطيه النصف فيما يغلب عليه من البلاد ... وقتل في الحروب (أبو دبوس) ، وانقرضت دولة بني عبد المؤمن[٢] .

وبعد انهيار دولة الموحدين لم يبق في مراكش مأهولا سوى قصر الحكم وقصر الرماة . ويسكن في القصر الأخير حجاب الملك وسائقو بغاله . أما البقية فقد تحولت إلى مأوى لأسراب الحمام البرى والغربان والبوم وطيور أخرى من هذا القبيل . وخسرت مراكش شهرتها القديمة وظلت مهددة بغارات الأعراب في كل مرة يرفض السكان فيها إرضاء أي رغبة من رغباتهم[٣] .

- **الوضع الاجتماعي في مدينة مراكش :**

وقد سكن مدينة مراكش عالية القوم ، فقد ذكر الإدريسي مدينة مراكش في عصر المرابطين بقوله: "... واتصلت بذلك عمارات مراكش وحسن قطرها منظرها ومدينة مراكش في هذا الوقت من أكبر مدن المغرب الأقصى لأنها كانت دار إمارة لمتونة (المرابطين) ومدار ملكهم وسلك جميعهم وكان بها أعداد قصور لكثير من الأمراء ، والقواد وخدام الدولة، وأزقتها واسعة ورحابها فسيحة ومبانيها سامية وأسواقها مختلفة وسلعها نافقة "[٤]

وعندما تولى المصامدة أي (الموحدون) يذكر الإدريسي أيضا أنهم أكملوا ما بدأه المرابطين من توصيل الماء ، فيقول : " وكان على بن يوسف قد جلب إلى مراكش ماء من عين بينها وبين المدينة أميال ولم يستتم ذلك فلما تغلب المصامدة على الملك وصار لهم وبأيديهم تمموا بطلب ذلك الماء إلى داخل المدينة ... [٥] ".

---

(١) ابن أبي دينار : المؤنس ص ١٤٩-١٥٠-١٥١-٢٤٦-٢٤٧-٢٤٨-٢٤٩

(٢) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج١ ص ١٤٦

(٣) الحسن الوزان : نفس المصدر ج١ ص ١٤٧

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٣٤

(٥) الإدريسي : نفس المصدر ص٢٣٤

فقد قام عبد المؤمن بن على ببناء مسجداً جامعاً غير جامع المرابطين الذي هدمه وغرس البساتين حول مراكش ، وجلب لها الماء من أغمات وحفر الآبار والعيون ، وعظم إنتاج هذه البساتين من الفواكه[1] . أما في عهد يوسف بن عبد المؤمن فقد أمر في سنة ٥٧٩هـ بتوسعة مدينة مراكش وهدم سورها الأول وإقامة سور آخر ، حيث تفاخروا في سكناها بحسب القدرة منهم والإمكان ، فصارت أوسع البلاد معاشاً وأكثرها خلقاً وأربحها تجارة ، فضاقت بالناس فلم يجدوا موضعاً للبناء ولا محلاً للسكنى ، حيث أمر أبو يعقوب يوسف قبائل هسكورة وصنهاجة أن يرتحلوا من بلادهم إلى سكناها بأهلهم وبنيهم فامتثلوا ، فاشتكوا من ضيق المدينة ، فنظر أمير المؤمنين ومعه شيوخ الموحدين وعرفاء البنائين كيف يتم اتساع المدينة ؟ فأتفق رأيهم على زيادة المدينة من جهة القبلة بجهة باب الشريعة[2].

وقد انتشر الطاعون في المغرب والأندلس لمدة عام سنة ٥٧١هـ ، وقد قضى على الكثيرين من السكان وعلى بعض زعماء دولة الموحدين منهم أربعة من أبناء عبد المؤمن ، وقد أصيب الخليفة نفسه وأخوه السيد أبو حفص عمر ، ولكنهما شفيا من المرض . وقد قضى على الكثيرين من أهل مراكش وضاق المصلى بالموتى ، فأمر الخليفة بأن يصلى عليهم في عامة مساجد مراكش . ونتيجة لهذا الوباء الفاتك ، خيم جو من الكآبة والحزن على مراكش الزاهر ، ولم يعد يخرج منها أحد أو يأتى وافد إليها . وكان لهذا الوباء الذي فتك بالكثير من أهل المغرب والأندلس أثره في أضعاف المعنويات ، وفى قلة الأيدي العاملة ، وتعطل التجارة ، وتوقف الحياة الزراعية والصناعية ، وقد ترتب على ذلك أزمة اقتصادية حادة كانت ذات أثر مادي ومعنوي سيئ على الرعية[3] .

وفى عهد المنصور" عظمت المملكة، وضاقت مراكش بسكانها فأختط الصالحة، وحشد لها العرفاء والصناع وكل من شهر بالإتقان ، وحدقت مساكنها بالتكسير وأرضى بالتعويض من كان له بها شيء صغير أو كبير... وأوعز إليهم وأكد عليهم ألا ينشئوا شيئاً من البنيان إلا فوق الغاية من الوثاقة والإتقان ، فأقبلوا على العمل من

---

(١) عصام الدين عبد الرؤف الفقى : تاريخ المغرب والأندلس ص٢٦٩

(٢) ابن عذارى المراكشي : البيان ، قسم الموحدين ص١٥٣-١٥٤

(٣) على محمد الصلابى : إعلام أهل العلم والدين بأحوال دولة الموحدين ص١١٨-١١٩، مراجع عقيلة : سقوط الموحدين ص١٢٩)

غير ملل ولا كلل مواصلين مساءهم بصباحهم ... حتى كملت على أحسن الهيئات فصارت مراكش مصر الأمصار وغاية الفخامة وارتفاع المقدار[1] ".

وقد أمر المنصور بقطع لباس الغالي من الحرير، والاحتزاء منه، بالرسم الرقيق الصغير ، ومنع النساء من الطرز الحفيل ،.وأمر بالاكتفاء منه بالساذج القليل ، وأمر بإخراج ما كان في المخازن من ضروب ثياب الحرير والديباج المذهب فبيعت منه ذخائر لا تحصى –بأثمان لم توف ولم تستقص– ثم أمر أصحاب الشرطة بقطع الملهين والقبض على من شهر من المغنين فتقف من وجد منهم بكل مكان – فغيروا هيئاتهم وتفرقوا على الأوطان ــ وبارت سوق القيان ، وزهد كل الزهد في هذا الشأن[2].

وصارت مراكش تضاهي بغداد في العظم بكثرة الرؤساء والعلماء والأدباء[3] . وكل قصر من قصور مراكش مستقل بالديار والبساتين والحمامات والاصطبلات والمياه وغير ذلك حتى أن الرئيس منهم كان يغلق بابه على جميع خوله وأقاربه وما يحتاج إليه ولا يخرج من بابه إلى خارج حارة لحاجة يحتاجها[4]. وكانت مزاكش في مستوى اجتماعي مرتفع لسكنى علية القوم ، فيها أربعة وعشرون حماما، وأفرانها ستة وستون فرناً ، وأسواقها كثيرة منظمة مجموعة في وسط المدينة بحيث تغلق عليها أبوابها وتبقى وحدها منفردة مشتملة على الحرف المهمة والسلع التي تجبى إليها من كل قطر ، وفيها ما يشذ عن الحصر مما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين مع رخص أسعارها[5] .

- **الوضع السياسي في مدينة فاس :**

لقد جاء تمام تخطيط فاس على يد الإمام إدريس الثاني جاء على مرحلتين[6].

---

(١) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدر ص١٧٤

(٢) ابن عذارى المراكشي : نفس المصدرص١٧٤

(٣) العباس بن إبراهيم : الإعلام بمن حل مراكش ... ج١ــ ص ٩٣

(٤) أبو العباس أحمد بن علي القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبعة المطبعة الأميرية، القاهرة ، ١٩١٥م، ج ٥ ص ١٦١ ، العباس بن إبراهيم : المرجع السابق ج ١ ص ٩٩)

(٥) العباس بن إبراهيم : نفس المرجع ج ١ ص ٩٨

(٦) مؤلف مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس ، ورقة ٤٥-٥٠ ، الجزنائى : جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس ص ٣٤ -٣٥ ، البكري : المغرب ص ١٢٣ ، ابن أبي زرع : روض القرطاس ص٣٨

المرحلة الأولى : يطلق عليها عدوة الأندلسيين التي شرع الإمام في بنائها في غرة ربيع الأول ١٩٢هـ . أما المرحلة الثانية : بدأت في مستهل ربيع الثاني سنة ١٩٣هـ ويطلق عليها عدوة القرويين[١]. وكان اختطاط مدينة فاس كغيره من اختطاط المدن الإسلامية يسير وفق منهج إسلامي يكون المسجد فيه هو مركز المدينة ومحورها وأول ما يختط بها[٢] . ولما كان السوق من متطلبات الجماعة الإسلامية فقد خصص الإمام إدريس الأرض المجاورة لكل مسجد من العدوتين لتكون سوقاً لكلٍ منها[٣] .

وقد قرر كل من اليعقوبي والمقدسي وجود مدينتين منفصلتين إلا أنهما لم يقدما معلومات وافيه عن نشأة هاتين المدينتين . وكذلك فإن الإدريسي الذي ألف كتابه في القرن السادس الهجري وان كان تحدث عن مدينتين منفصلتين رغم أن المدينتين اتحدتا في مدينة واحدة قبل ذلك بعشرات السنين . وقدم المؤرخ المغربي ابن أبي زرع مؤلف روض القرطاس أدق رواية عن هذا الموضوع ، فقد اعتمد عليه كل من الجزنائي في زهرة الآس ، وابن القاضي في جذوة الاقتباس .

ولقد ظلت مدينة فاس مزدهرة ، ذات شأن حتى أنها وصلت في عهد المرابطين والموحدين إلي درجة كبيرة من الازدهار لم تصل إليه مدينة مغربية من الرفاهية والرخاء والأمن[٤] .

فأصبحت فاس في عصر المرابطين تسمى لدى شيوخ هذه الدولة (ببغداد المغرب) غير أن المرابطين آثروا عليها مراكش لقربها من بلاد المصامدة ، وصحراء لمتونة فلهذا السبب كانت مراكش كرسي المملكة ، وإلا فمدينة فاس أحق

---

(١) قام إدريس الثاني بتنظيم خطط المدينة فأنزل العرب القيسية بإزاء الأسوار الجنوبية من عدوة القرويين . أما قبائل البربر من زناتة ولواتة ومغيلة وصنهاجة فقد نزلت كل منها بحيها ولم تحدد المصادر مواضعها"وكان جماعة من الفرس من أهل العراق قد قدموا على إدريس الثاني فضلا عن اليهود الذين نزلوا المدينة في ناحية أغلان إلى باب حصن مسعدون حيث بنو الحوانيت . وحين قدمت قبائل الأندلس على الإمام إدريس الثاني بعد أن أوقع بهم الحكم بن هشام وأجلاهم إلى المغرب صعدوا إلى مدينة فاس فأنزلهم العدوة التي نسبت إليهم (عدوة الأندلسيين) . (ابن أبي زرع : روض القرطاس ص٤٦ ، مجهول : رسالة في ذكر من أسس فاس . ورقة ٧ .)

(٢) الجزنائي : جني زهرة الآس ص٣٣.

(٣) مجهول : رسالة في ذكر أسس فاس ص٢١

(٤) الجزنائي : نفس المصدر السابق ص ٣٨ .

بذلك منها"[١] . فكان من التطورات التي حدثت للمدينة في عصر المرابطين هو توحيدها إداريا ، فأصبح جامع القرويين هو الجامع الرئيسي بفاس . كما شهدت فاس في العصر المرابطي حركة عمرانية واسعة في عدوة القرويين بصفة خاصة، نظرا لاكتظاظها بالسكان " وضاق جامع القرويين بالمصلين حتى كان الناس يصلون في الأسواق والشوارع المحيطة بالجامع"[٢] .

وظلت فاس العاصمة الثانية لدولة المرابطيين حتى تصدعت دولتهم وتغلب عليهم الموحدون . وسقطت فاس في أيدي الموحدين سنة ٥٤٠هـ[٣] .

ولقد اهتم الموحدون بفاس في عهد حكمهم اهتماما خاصاً ، لا سيما زمن الناصر الذي أقام بفاس سنة٥٩٥هـ الي سنة ٥٩٨هـ ، وبني قصبتها وأسوارها التي كان ضرب جده عبدالمؤمن حين دخلها[٤] ، وراجت صناعتها وحرفها وانتشرت الأسواق بالمدينة وارتبطت بالطرق التجارية . فعن طريق فاس كان يتجهز التجار إلى بلاد السودان والى المشرق وكان يحمل منها النحاس الأصفر إلى جميع الأفاق[٥] .

- **الوضع الاجتماعي في مدينة فاس :**

تميزت كل من عدوتي فاس بطابع خاص يعكس سمات سكانها ، فعدوة الأندلسيين التي أنزل فيها جميع أجنادة وقواده ، وجعل بها جميع كسبه من الخيل والابل والبقر والغنم بأيدي ثقاته .ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقه[٦]. وقد وصفها الإدريسي :"فاس قطب ومدار لمدن المغرب الآقصي ، ويسكن حولها قبائل من البربر ولكنهم يتكلمون العربية، وفاس هذه حضرتها الكبري ويقصدها الأشهر ، وعليها تشد الركائب واليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة

---

(١) المراكشي : المعجب ص ١١٩ -١٢٠

(٢) الجزنائى : جني زهرة الآس ص ٣٨

(٣) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ١٨٩ .

(٤) ابن عذارى: البيان، القسم الموحدى، ص ٢٦٥، ابن أبي زرع: روض القرطاس ص ٢٤٢، الناصري : الاستقصا ج ١ ص١٩١ ، مصطفى أبو ضيف أحمد : اثر القبائل العربية في تاريخ المغرب خلال عصر الموحدين والمرينيين ، رسالة ماجستير ، جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٥م ، ص ٩٩-١٠٠)

(٥) مجهول : الاستبصار ص١٨١

(٦) ابن أبي زرع : روض القرطاس ص ٥٥

وأهلها مياسير ولها من كل شئ حسن اكبر نصيب وأوفر حظ"[١]. وقد قدم صاحب الاستبصار شهادة مؤرخة سنة ٥٨٧هـ في بداية عهد المنصور ذكر فيها: " وقاعدة بلاد المغرب مدينة فاس .. هي أعظم مدينة من مصر إلى أخر بلاد المغرب . ومدينة فاس مدينتان كبيرتان يشق بينهما نهر كبير يسمى بوادي فاس يدور عليها سور كبير، ومدينة فاس اليوم في نهاية العمارة والصلاح "[٢] . وتميزت فاس برونقها ونظافتها وقد وصف ابن حوقل شوارعها في القرن الرابع الهجري بقوله :" في كل يوم يرسل في أسواقها ، وشوارعها من نهرها الماء فتغسل " كما يشير إلى رصف شوارعها[٣] . وكانت هناك القناطر العديدة التي تربط بين عدوتى القرويين والأندلسيين[٤] .

ومع اكتفاء سكان فاس بالسلع الأساسية المتوفرة في مدينتهم ، فإن الأسواق كانت تمتلئ بأنواع المتاجر التي تأتى بها القوافل القادمة من مدن المغرب المختلفة، وفى ذلك يقول الجزنائى : " انه انتقل إليها جملة من أصناف الناس، وأهل الأمصار من جميع البلدان القاصية والدانية فليس من أهل بلد ولا إقليم إلا ولهم بها منزل ومتجر وصناعة ومنصرف ، واجتمع فيها ما ليس في مدينة من مدن الدنيا ، وأتتها التجارات ، وأهل الصناعات من كل صقيع حتى تكامل بها كل متجر[٥] . فصارت المدينة تعج بالتجار من مدن المغرب المختلفة الذين اتخذوا في أسواقها متاجر يصرفون فيها بضائعهم وسلعهم ". ووصفها ابن سعيد بأنها: " دار مملكة يقصدها الناس من جميع الأقطار ، واليها يجلب من جميع الأقاليم كل شيء حسن من المتاع والسلع الغالية الأثمان من اليمن والسودان والشام والأندلس "[٦] .

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج١ ص ٢٤٦

(٢) مجهول : الاستبصار ص ١٨٠

(٣) أبو القاسم محمد بن علي البغدادي بن حوقل: صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٨٩،١١٥.

(٤) البكري : المغرب ص ١١٥ -١١٦

ويذكر ابن خلدون :" فأما أن يكون لضواحي تلك المدينة وما قاربها من الجبال والبسائط بادية يمدها العمران دائماً ، فيكون ذلك حافظاً لوجودها ، ويستمر عمرها بعد الدولة كما تراه بفاس وبجاية من المغرب ". (ابن خلدون : المقدمة ج١ ص ٦١٠)

(٥) الجزنائى : جني زهرة الاس ص ٣٩ ، جمال أحمد طه : فاس في عصري المرابطين والموحدين ، دراسة سياسية حضارية ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ٢٠٠١م ، ص ٢٣٥

(٦) علي بن سعيد بن موسي (ابن سعيد) : كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، بيروت ، ١٩٧٠م،ج١ ص١١٤

- **الوضع السياسي والاجتماعي على مدن سبتة وطنجة :**

فمدينة سبتة وطنجة تقعان في شمال المغرب الأقصى وهي مدن حدودية بحرية هما ميناءين على البحر المتوسط ، يربط المغرب الأقصى بالأندلس وأوربا والمشرق الإسلامي . فميناء سبتة من أشهر الموانئ المغربية ومن المرافئ التي تخرج منها وترد إليها معظم التجارة الخارجية ، فكان يقصده تجار المدن الإيطالية خاصة تجار مدينة جنوه ، حيث كان يوجد لهم في سبتة سبع فنادق ، كما يعد هذا الميناء طريقاً هاماً للقوافل المتجهة إلى غانة والسودان[١] .

ونظراً لكل هذه المميزات ، فان تجار سبتة كانوا من أغنى تجار المغرب — ويظهر ذلك في وصف ابن سعيد للمدينة فيقول :" بين بحرين وهى ركاب البرين ، شبه الإسكندرية في كثرة الحط والإقلاع ، وفيها التجار الأغنياء الذين يبتاعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها صفقة واحدة لا يحوجون صاحبها للتقاضي[٢] " .

فقد تميز المغرب الأقصى بساحلين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، وقد ساعدت هذه الموانئ علي الاتصال بالعالم الخارجي وفى زيادة النشاط التجاري ، فكان التجار يحملون الذهب والصمغ من السودان إلى أسواق الأندلس ، ومنها إلى أوربا وحوض البحر المتوسط[٣] .

وكانت السفن التجارية على اختلاف أحجامها تتردد بين موانئ المغرب الأقصى وبين المرية[٤] . ووضعت بعض الأسس لتأمين طرق التجارة حتى لا يقع اعتداء على التجار أو أموالهم[٥] .

---

(١) أمين توفيق الطيبى : مرجع سابق ، ص٢٩٢

(٢) ابن سعيد: كتاب الجغرافيا ص ١٣٩ ، أحمد بن يحيى بن فضل الله (العمري): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٢م، ص١٣٧

(٣) البكري : المغرب ص١٥٨

(٤) المرية : مدينة أندلسية محدثة البناء أنشاها الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، وقدر لهذه المدينة الأندلسية أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ الأندلس ، فقد كانت المركز الأول للتجارة البحرية مع أقطار البحر المتوسط . فيقول عنها ابن عذارى :" قد أمن التجار بأموالهم وقصد إليها الناس من أقطارهم. (ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب ج١ ص١٢٤، الحميري : الروض المعطار ص ٥٣٨)

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩م ، ص ١٧٢-١٧٣

- **الوضع السياسي والاجتماعي لمدن سجلماسة وأغمات :**

أما مدينة سجلماسة : فهي ميناء صحراوي فهي مقصد للصادر والوارد ، في جنوب المغرب الأقصى في طرف بلاد السودان .. وأهل هذه المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالاً لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب ولأهلها جرأة على دخولها[١] .

أما مدينة أغمات : فهي مدينة تجارية مع بلاد السودان ، فأهلها أملياء(أغنياء) تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال ... وفى عصر المرابطين لم يكن أحد أكثر منهم أموالا ولا أوسع منهم أحوالا وبأبواب منازلهم علامات تدل على مقاديرهم وذلك أن الرجل منهم إذا ملك أربعة ألاف دينار يمسكها مع نفسه وأربعة ألاف يصرفها في تجارته أقام على يمين بابه وعن يساره عرصتين من الأرض إلى السقف . وبنيانهم بالأجر الطوب والطين أكثر ، فإذا مر الخاطر بدار ونظر إلى تلك العرص مع الأبواب قائمة عدها فيعلم من عددها كم مبلغ مال صاحب الدار.. وفى عصر الموحدين تجار أملياء مياسير أغنياء لهم نخوة واعتزاز لا يتحولون عنه ...[٢]

وكانت هناك علاقات تجارية بين المغاربة وأهل السودان فقد سكنت أسر مغربية في مدن السودان مؤقتا ، أو بصفة دائمة . فقد كانت الجالية المغربية تشمل إلى جانب التجار ، فقهاء وقضاه ومدرسين ومقرئين وطلبه وخطباء ، وحتى رجال الأدب والشعراء والمهندسين[٣] . كانا يمثلان شركتهما العائلية بولاته [٤] .

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص٢٢٥ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ١٩٢/٣)

(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ج١ ص٢٣٢-٢٣٣

(٣) ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ٤٠٦ ، عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي : تاريخ السودان ، نشر هوداس، باريس ، ١٩٦٤م ، ص٢٠-٢١ ، محمد الشريف: الجالية المغربية ببلاد السودان الغربي (ق٨هـ /١٤م) مجلة التاريخ العربي ، عدد ١٤ ، ربيع سنة ٢٠٠٠م ص٢٠٤

(٤) هم أولاد يحيى بن عبد الرحمن بن أبى بكر بن القرشي المقري ، وكانوا خمسة رجال ، فعقدوا الشركة بينهم في جميع ما ملكوه أو يملكونه على السواء بينهم والاعتدال ، فكان أبو بكر ومحمد بتلمسان ، وعبد الرحمن وهو شقيقهما الأكبر بسجلماسة ، عبد الواحد وعلى وهما الشقيقان الصغيران بإيوالاتن فاتخذوا بهذه الأقطار المزارع،والديار، وتزوجوا النساء ، واستولدوا الإماء، وكان التلمساني يبعث إلى الصحراوي بما يرسم له من السلع ، ويبعث إليه الصحراوي بالجلد

وكانت هناك علاقات وصداقات بين السكان المحليين والتجار المغاربة، حيث تزوج البعض منهم ، بينما اتخذ البعض الأخر – الذي كان كثير الانتقال بين المغرب وبلاد السودان – الجواري –. ولقد تعلم المغاربة اللسان السوداني : يذكر الحسن الوزان أنه مع انتشار الإسلام بالسودان ،" بدأ تجار بلاد البربر حينئذ يذهبون إلى هذه البلاد ليتاجروا فيها حتى تعلموا لغاتهم "[١] . وكان مما شجع على إقبال التجار المغاربة على هذه التجارة وجود أعداد كبيرة منهم في المغرب الأقصى[٢] . كما صارت البلاد ممراً أمناً لتجار الصحراء[٣] .

وكانت التجارة بين المغرب والسودان قائمة على نطاق واسع ، فيذكر ابن حوقل : " ولقد رأيت بأودغست[٤] صكاً في ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست ، وهو من سجلماسة باثنين وأربعين ألف دينار ، وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبيهاً ولقد حكيتها بالعراق وفاس وخراسان فاستطرفت "[٥].

وكانت المراكز التجارية تتأثر بعلاقة الدولة الموحدية مع جيرانها وبقوة الدولة الموحدية وضعفها في الحركة التجارية فقد تأثرت بظروف الدولة السياسية ، وما تتعرض له من أحوال سياسية تؤثر تأثيراً مباشراً على هذه المراكز التجارية .

والعاج والجوز والتبر ، والسجلماسى كلسان الميزان يعرفهما بقدر الخسران والرجحان ويكاتبهما بأحوال التجار وأخبار البلدان ، حتى اتسعت أحوالهم وزادت أموالهم . (المقري : نفح الطيب ج ٥ ص ٢٠٥ .)

(١) الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج٢ ص١٦٢

(٢) العمري : مسالك الأبصار ص ١٣٤-١٣٥

(٣) مؤلف مجهول : الاستبصار ص١٨١

(٤) أودغست : تقع منحرفة محاذاة عن السوس الأقصى كأنها مع سجلماسة مثلث طويل الساقين أقصر أضلاعه من السوس إلى أودغست . وتفصل عن سجلماسة مسيرة شهرين . (ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/٢٧٧)

(٥) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٩٦ ، الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي ص ١٦٩)

وسائل النقل وأهم الطرق الداخلية

(برية – نهرية – بحرية)

كان لاستقرار الأحوال السياسية والاقتصادية في الدولة الموحدية عاملاً مشجعاً للتجارة ولتنقل التجار ، فقد قام خلفاء دولة الموحدين بإجراءات لتأمين المسالك والطرقات ، وبإقامة مراكز للحراسة وتموين المسافرين والتجار ، وانتشر الأمن في جميع الأعمال ، حتى أن الظعينة تخرج من برقة إلى آخر المغرب ولا يتعرض لها أحد[١] .

- **النقل البرى :**

توفرت وسائل النقل التي تناسب حجم المبادلات التجارية ، سواء داخل المدن أو لنقل البضائع لعموم بلاد المغرب والبلاد المحيطة .وقد استعمل المغاربة الدواب لنقل البضائع ، وهو ما نجد صداه في أدب النوازل والحسبة[٢]. فيما ورد بها من استغلال البهائم في نقل السلع كمن يبيع جزءاً من دابته لما يحفظها ويشاركه فيها[٣] . أو من يدفع دابته إلى أجير بنصف ما يكتسبه بها من الأجرة والربح. والشراكة في البهائم وكراء الدواب واستعمالها في غير الوجوه المتفق عليه[٤] . ويتضح من هذه النوازل أن الدواب كانت من أدوات النقل الأساسية في نقل التجارة .

وقد تأثرت وسائل النقل المستخدمة بتخطيط المدن حتى تناسب الطرق والممرات عند استعمالها . فكانت شوارع مراكش واسعة[٥] .ويحدثنا روجية لوطورنو عن فاس بقوله :" كان التنقل داخل مدينة فاس ذات الشوارع المنتظمة، إلا أنها لم تكن

---

(١) ابن أبي دينار : المؤنس ص ١٤١ ،

(٢) محمد فتحة : النوازل الفقهية والمجتمع ، أبحاث في تاريخ المغرب الإسلامي من القرن٦ – ٩هـ/١٢–١٥م ، منشورات كلية الآداب والع لوم الإنسانية، الدار البيضاء ١٩٩٩م ص٣٠٩

(٣) أحمد بن يحيى الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والاندلس والمغرب ، إشراف محمد حجي وآخرون ، دار الغرب الاسلامي ، ط ٣ ، بيروت ، ١٩٨١م ، ج ٥ ص ٢٠٣

(٤) الونشريسي:المعيار المعرب،ج٥ ص٩٣-٢٤٤-٢٧٢، ج٨ ص١٨١-١٨٢-١٩٥-٢٧٩-٢٨٣

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ج ١ ص٢٣٤

الزقاق : الطريق الضيق دون السكة ، اما الشارع : فهو الطريق الأعظم الذي يشرع فيه الناس عامة أي يفتح فيه الناس أبوابهم وشرع الباب الي الطريق اي أنفذه اليه وشرع الباب والدار شروعاً أفضي الي الطريق (ابن منظور: لسان العرب)

تشبه الشوارع العريضة المستقيمة التي عرفتها المدن الرومانية .. وكان الرجال يحملون المتاجر أو تنقل على دواب من الحمير أو البغال أو الخيول. ومن ثم فلم تكن هناك ثمة حاجة إلى شرايين المرور الواسعة فكان يكفى أن يتسع الشارع لمرور دابتين محملتين "[1] .

- **الطرق البرية في المغرب الأقصى :**

ارتبطت مدن المغرب الأقصى بشبكة طرق برية كانت مراكش مركزاً لهذه الطرق حيث أنها قاعدت دولة الموحدين ، وربطت هذه الطرق مدن المغرب الأقصى بالعاصمة . ولهذا مهد الموحدون الطرق[2] وذلك لخدمة التجار والجيش منذ بداية قيام دولة الموحدين[3] .

- <u>الطرق من مدينة مراكش إلى مدن المغرب الأقصى الشمالية :</u>

١) طريق رئيسي من مدينة مراكش إلى مدينة فاس يقدر بمسيرة عشرة أيام(٤٤٥.٢كم)[4]. ثم يستمر حتى مدينة سبتة على البحر المتوسط ويقدر طوله بمسيرة ستة أيام (٢٦٧.١٢كم)[5].

وقد استخدم الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن أبو يعقوب (٥٥٨-٥٨٠هـ /١١٦٣-١١٨٤م) هذا الطريق ، حيث خرج من مراكش من باب دكالة إلى

---

(١) روجيه لوطورنو : فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نيقولا زيادة ، مكتبة لبنان ، بيروت، ١٩٦٧م ، ص ٤٦.

(٢) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص٣٨٩ وما يليها .

(٣) البيذق : أخبار المهدي ص١١٣ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج١١ ص١٥٩ ، مقلد الغنيمي : موسوعة تاريخ المغرب العربي ، دراسة في التاريخ الاسلامي ، مكتبة المدبولي ، ج٣ ص٢٦٧، عز الدين أحمد موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي خلال القرن السادس الهجري ، دار الشروق ، ط١ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص٢٧٢)

(٤) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣

(٥) وقد قدرت المسافة بين فاس وسبتة بمسيرة عشرة أيام وثمانية أيام و ست أيام .
(أبو الفداء : المصدر السابق ص ١٢٣ ، الإدريسي : نزهة المشتاق ج٢ ص٥٣١ -٥٣٢ ، البكري : المغرب ص ١١٥ ، قدرها بستة أيام .)

مدينة سلا ، ثم لمدينة مكناس ، ثم لمدينة فاس ، ثم لمدينة سبتة ، عندما اتجه للأندلس سنة ٥٧٩هـ /١١٨٣م[١] .

٢) طريق من مدينة مراكش لمدينة سلا يقدر بعشرة أيام (٤٤٥.٢كم)[٢].

٣) طريق من أغمات إلى الشمال الشرقي إلى مدينتي (داى وتادلة) أربعة أيام (تقدر ١٧٨.٠٨ كم) وبين داى وتادلة مرحلة (تقدر ٤٤.٥٢٠كم)[٣].

٤) طريق من مدينة مراكش إلى (ميناء) مرسى فضالة على ساحل المحيط الأطلس شمال غرب مدينة مراكش تقدر مسافته بثلاث مراحل (تقدر ١٣٣.٥٦ كم) يمر على قرية أم الربيع[٤] .

٥) طريق من مدينة مراكش إلى جهة الغرب لمدينة اسفى على ساحل المحيط الأطلسي تقدر مسافته بأربعة أيام(تقدر ١٧٨.٠٨ كم)[٥].

---

(١) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٢١٣ . ويذكر الإدريسي عن هذا الطريق يبدأ الخروج من مراكش إلى قرية نونين تقدر بمرحلتين ثم لقرية تيقطين بمرحلة ، ثم لقرية غفسيق بمرحلة ، ثم لقرية أم الربيع بمرحلة ، ثم لقرية ايغيسل بمرحلة ، ثم لقرية أنفال بمرحلة ، ومنها لقرية مقول مرحلة ، ثم لقرية اكسيس مرحلة صغيرة ، ثم لمدينة سلا مرحلة " (الإدريسي : مصدر سابق ج١ ص ٢٣٦ -٢٣٩) والمرحلة : تقدر بـ ٤٤.٥٢٠ كم تقطع في يوم عند الحنفية والمالكية، (علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٢) أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٩

(٣) داى : شمال شرق مدينة أغمات أسفل جبل خارج من جبل درن ، ومدينة داى مدينة صغيرة لكنها عامرة والقوافل عليها صادرة وواردة .
تادلة : اقليم شاسع يبتدئ من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع كما ينتهي جنوباً بين جبال الأطلس شمالاً في المكان الذي يلتقى فيه واد العبيد ونهر أم الربيع وتمثل هذه الناحية تقريبا شكل مثلث ..." وهى مدينة قديمة أزلية فيها أثار للأول ، بني الملثمون(المرابطين) وفيها حصناً منيعاً هو الآن معمور وفيه الأسواق والجامع ، والبلد كله كثير الخيرات الأرزاق أحاطت به القبائل من جميع الجهات، وهى بلد أحمد بن عبد السلام الجراوى الشاعر ، يقال انه مدح عبد المؤمن بن على وولده يوسف وولده يعقوب وولده محمداً الناصر ومات عام العقاب ، وهو عام تسعة وستمائة .

(٤) الإدريسي : نزهة المشتاق ج١ ص ٢٤١ ، الحميري: الروض المعطار ص ١٢٧ ، الإدريسي: نفس المصدر ج ١ ص ٢٣٧ ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج١ ص ١٧٦

(٥) أبو الفداء : نفس المصدر السابق ص ١٣٠

٦) طريق يربط مدينة سبتة بمدينة طنجة يقدر بمرحلتين(تقدر ٨٩.٠٤ كم) ، حيث يبدأ من سبتة إلى مدينة قصر عبد الكريم بمرحلة (٤٤.٥٢٠كم) ، ومن قصر عبد الكريم إلى مدينة طنجة مرحلة[١] (٤٤.٥٢٠كم).

٧) طريق من مكناس إلى قصر عبد الكريم الواقعة في شمال نهر اولكس ، وبين قصر عبد الكريم والبحر المتوسط ثلاثة أميال (٥.٥٦٥كم)، تقدر مسافة هذا الطريق بثلاثة مراحل[٢] (١٣٣.٥٦كم) .

٨) طريق من مكناس إلى مدينة سلا على المحيط الأطلسي يقدر بأربعة مراحل (١٧٨.٠٨كم) [٣].

٩) طريق من مدينة فاس إلى مدينة مكناس يقدر بأربعين ميلاً(٧٤.٢كم)[٤].

١٠) طريق من مدينة فاس إلى الشرق لمدينة تلمسان في المغرب الأوسط يقدر بعشرة أيام[٥] (٤٤٥.٢كم) .

١١) طريق من مدينة فاس إلى مدينة سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى مباشرة وتقدر مسافة هذا الطريق بين عشرة مراحل (٤٤٥.٢ كم) (البكري)[٦]، وثلاثة عشر مرحلة (٥٧٨.٧٦كم) (الادريسي)[٧].

– <u>طرق من مدينة مراكش إلى مدن المغرب الأقصى الجنوبية :</u>

١) طريق من مدينة مراكش إلى مدينة أغمات يقدر باثني عشر ميلا (٢٢.٢٦ كم)[٨] . ثم يتجه إلى مدينة سجلماسة بمسافة تقدر بثمان

---

(١) البكري : المغرب ص ١٥٤
(٢) الإدريسي : نزهة المشتاق ج١ ص ٢٤٦
(٣) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٢
(٤) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٤٤ ، محمد صبحي حلاق : الايضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والاوزان الشرعية
(٥) الإدريسي : نفس المصدر ص٢٤٦ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٣
وتقدر مسافة أربعة أيام بـ ١٧٨.٠٨كم (علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)
(٦) البكري : المغرب ص ١٤٧
وقد قدر البكري المرحلة في هذا الطريق بستين ميلا . (البكري : نفس المصدر ص ١٤٦) .
(٧) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٤٣ .
(٨) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٣٣ . ويقدر الإدريسي المسافة بين أغمات وريكة وأغمات ايلان بستة أميال (٨.٦٨٨ كم) قدرها الفقهاء ١١.١٣كم. (الإدريسي: نفس المصدر ص ٢٣٥. علي جمعة : المكاييل والموازين الشرعية)

مراحل[1] (٣٥٨.٨كم) . ثم إلى مدينة درعة في جنوب المغرب الأقصى بمسافة تقدر بثلاث مراحل (١٣٣.٥٦كم)[2].

ثم إلى منطقة السوس الأقصى في الجنوب الغربي للمغرب الأقصى على ساحل المحيط الأطلسي بمسافة تقدر بأربعة أيام(١٧٨.٠٨)[3]. ويعتبر هذا الطريق من الطرق الهامة في مدن المغرب الأقصى الجنوبية ويقدر طول هذا الطريق من مدينة مراكش إلى نهايته في المغرب الأقصى بإحدى عشر مرحلة وأربعة أيام (٦٦٧.٨كم).

٢) طريق من مدينة مراكش إلى مدينة نفيس[4] في اتجاه الغرب ، يبدأ من مدينة مراكش إلى مدينة أغمات ثم إلى مدينة نفيس ومسافة هذا الطريق تقدر بنحو مرحلة (٤٤.٥٢كم)[5].

٣) طريق من مدينة نفيس يتجه للجنوب إلى منطقة بلاد السوس الأقصى بمسافة تقدر بخمسة مراحل(٢٢٢.٦كم)[6].

٤) طريق من مدينة سجلماسة إلى مدينة نول لمطة[7] في أقصى الجنوب الغربي للمغرب الأقصى بمسافة تقدر بثلاثة عشر مرحلة(٥٧٨.٧٦كم) ويستمر الطريق لبلاد السودان عبر الصحراء[8] .

---

(١) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص٢٢٦ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ١٢٩ ويقدر ياقوت الحموي : المسافة بين سجلماسة ودرعة بأربعة فراسخ (الفرسخ= ثلاث أميال = ١٧.٣٧٦كم) قدرت بـ ٢٢.٢٦ كم. (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢/٤٥١ ، علي جمعة : المرجع سابق ص ٧٠)

(٢) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٢٦

(٣) الإدريسي : نفس المصدر ص ٢٢٩ .

(٤) مدينة نفيس : مدينة صغيرة في اتجاه الغرب لأغمات ثم بلاد السوس الأقصى في الجنوب . (الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٢٩ .)

(٥) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٣٣ ، مجهول : الاستبصار ص ٢٣٣ .

(٦) الإدريسي : نفس المصدر ص٢٢٩

(٧) نول لمطة : بينها وبين ساحل المحيط الأطلسي ثلاثة أيام(١٣٣.٥٦كم) وهى في أقصى جنوب المغرب الأقصى بمنطقة السوس الأقصى (الإدريسي : نفس المصدر السابق ج ١ ص ٢٢١-٢٢٤، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٨) الإدريسي : نفس المصدر السابق والصفحات .

٥) طريق من مدينة سجلماسة إلى مدينة آزكى[١] بمسافة تقدر بثلاثة عشر مرحلة (٥٧٨.٧٦كم)[٢].

٦) طريق من مدينة سجلماسة إلى بلاد السودان مباشرة ، حيث من سجلماسة إلى مدينة اودغست[٣] من براري السودان ، بمسافة تقدر بأربعين مرحلة(١٧٨٠.٨كم) وقد وصفه البكري بأنه طريق طويل يتعرض من يسير فيه للعطش والرياح ولحرارة الشمس[٤] .

تلك هي الطرق البرية إلى ربطت مدن المغرب الأقصى وسلكتها قوافل التجارة والتي كان لها دور في الحركة التجارية بين مدن المغرب الأقصى[٥].

- **الطرق النهرية بين مدن المغرب الأقصى :**

استخدمت بعض الأنهار في المغرب الأقصى للنقل بين المدن وبعضها البعض أو بين المدن والبحر المتوسط أو المحيط الأطلسي ، واستخدمت في نقل التجارة .

وقد أهتم الموحدون بأنهار المغرب الأقصى وذلك بإقامة القناطر والجسور الدائمة أحياناً أو المتحركة (عن طريق المراكب لتسهيل العبور عليها) لاختصار الطرق بين المدن الواقعة على الأنهار . فقد أقام الخليفة عبد المؤمن بن على (٥٤١-٥٥٨هـ/١١٤٥-١١٦٣م) جسراً بين مدينة سلا والمهدية[٦] على نهر أبو الرقراق[٧]، ولكن هذا الجسر تهدم ثم قام ببنائه الخليفة أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠ -

---

(١) أزكى : آخر مدن المغرب الأقصى في الجنوب بعدها الصحراء الكبرى الفاصلة بين المغرب الأقصى وبلاد السودان ، وتقدر المسافة بين نول لمطة وأزكى بسبع مراحل (٣١١.٦٤ كم) .
(الإدريسي : نفس المصدر ج ١ ص٢٢٥ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٢) الإدريسي : نفس المصدر ص٢٢٥ .

(٣) سبق أن عرفت مدينة اودغست في البحث ص ٤٥ من نفس الفصل .

(٤) البكري : المغرب ص ١٥٦ -١٥٩ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠

(٥) الإدريسي : مصدر سابق ص ١٠٥ -١٠٧

(٦) المهدية: اختطها عبد المؤمن بن على أمام مدينة سلا على الشط الجنوبى للنهر وساحل المحيط.
(عماد الدين إسماعيل : تقويم البلدان ص١٣١)

(٧) نهر أبو الرقراق : يتجه للغرب ، ويصب في المحيط الأطلسي بين مدينة سلا والمهدية .
(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٠٧-٢٠٩.)

٥٩٥هـ /١١٨٤-١١٩٩م) لم تؤثر فيه أمواج البحر المحيط[١] .

- أنهار مدن المغرب الأقصى الشمالية :

١- نهر الخليج يقع شرقي مدينة طنجة ويصب في البحر المتوسط وهو نهر تدخله المراكب التجارية[٢] .

٢- وفى شرق مدينة سبتة عند مدينة تطوان[٣] وادي مجكسة يصب في البحر المتوسط ، تدخله المراكب اللطاف ، وتقدر المسافة من البحر إلى النهر بعشرة أميال(١٨.٥٥كم) عند مدينة تطوان[٤] .

٣- وشرقي مدينة مليلة على ساحل البحر المتوسط ، وادي ملوية الذي يعتبر الحد الشرقي للمغرب الأقصى[٥] .

٤- وفى جنوب مدينة قصر عبد الكريم ، نهر لوكس يستخدم في نقل البضائع، ويصب في البحر وتقدر مسافته بثلاثة أميال(٥.٥٦٥كم)[٦] .

٥- وفى شمال غرب مدينة البصرة[٧] نهر سفدد يصب في المحيط الأطلسي ويستخدم في النقل حيث تدخله المراكب الأندلسية التي تحمل الغلات إلى الأندلس[٨]

---

(١) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٩ وما يليها ، مجهول : الاستبصار ص١٤١ وقد بني الخليفة أبو يوسف المنصور جسراً على وادي أم الربيع جعل له قنطرة من القوارب المصنعة من الأخشاب-مثبتة بآلات في الماء ". (ابن صاحب الصلاة: نفس المصدر ص ٤٤٣)

(٢) البكري : المغرب ص ١٠٨، الحميري : الروض المعطار ص ٣٩٦، مجهول : الاستبصار ص١٧٩)

(٣) تطوان : مدينة صغيرة بناها الأفارقة قديماً على مسافة ثمانية عشر ميلا تقريباً (٣٣.٣٩ كم) من البحر المتوسط . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج١ ص ٣٢٠.)

(٤) البكري : نفس المصدر السابق ص ١٠٧

(٥) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٤٧ ، الحسن الوزان : نفس المصدر السابق ص ٣١٣

(٦) الإدريسي : نفس المصدر السابق ص ٢٤٦ .علي جمعة: مرجع سابق ص ٧٠

(٧) البصرة : مدينة صغيرة، وقد بنيت في سهل على يد محمد ابن إدريس الثاني سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣ م على مسافة ثمانين ميلا (١٤٨.٤كم) من فاس وجنوب القصر بعشرين ميلا (٣٧.١٠٠كم) وقد سميت البصرة تخليدا للبصرة في العراق .
(الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج٢ ص٣١٠.علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

(٨) الإدريسي : نزهة المشتاق ج٢ ص ٥٣٠ ، ابن حوقل : صورة الأرض ، ص ٨١

٦- وفى مدينة فاس نهر سبو وهو نهر كبير يحاذى المدينة من شرقيها ويصب في المحيط[١]. وقد أقام عبد المؤمن بن على الموحدى دار لصناعة المراكب على النهر[٢] .

٧- ومن مدينة أصيلة[٣] يخرج نهر كبير يصب في المحيط الأطلسي ، تدخله المراكب من المحيط إلى المدينة بالرياح الغربية ، وتخرج من المدينة للمحيط بالرياح الشرقية[٤] .

٨- وعند مدينة سلا والمهدية يصب نهر أبو الرقراق في المحيط الأطلسي[٥] .

- أنهار مدن المغرب الجنوبية :

١- عند مدينة أزمور يصب وادي أم الربيع في المحيط الأطلسي[٦] .

٢- وشمال مدينة مراكش يجرى نهر تانسيفت على مسافة ثلاثة أميال (٥.٥٦٥كم) وهو نهر صغير دائم الجريان[٧] .

- **الطرق البحرية في المغرب الأقصى :**

وكان ابن ميمون قائد الأسطول الموحدي يبعث بالأسارى والعلوج إلى الخليفة أبي يعقوب الموحدي[٨] .

ومن المميزات التي تمتع بها المغرب الأقصى انه يطل على ساحلين هما :

ساحل البحر المتوسط ، وساحل المحيط الأطلسي . ولذلك كان لموقع المغرب الأقصى أثره في نشأة العديد من الموانئ التي ساهمت بدورها في تسهيل الاتصال بالعالم الخارجي ، وفى زيادة النشاط التجاري .

---

(١) الإدريسي : نفس المصدر ج١ ص ٢٤٧ ، الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١١٣

(٢) الحسن الوزان : نفس المصدر ص٢١٠

(٣) أصيلة: مدينة تقع غرب مدينة طنجة، على ساحل المحيط الأطلسي(البكري: المغرب ص ١١٣)

(٤) البكري : نفس المصدر ص١١٣

(٥) ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة ص ٤٤٩ وما يليها ، الحسن الوزان : وصف أفريقيا ص ٢٠٧ -٢٠٩

(٦) الحسن الوزان : نفس المصدر ص ١٦٦ .

(٧) الإدريسي : نزهة المشتاق ص ٢٣٥ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠

(٨) ابن خلدون : العبر ، الجزء السادس ، صفحة ٢٤٣ .

فكان التجار يحملون الذهب والصمغ من السودان إلى أسواق الأندلس ومنها إلى أوربا وحوض البحر المتوسط[١] . فكانت السفن تنقل سلع المغرب إلى الأندلس والعكس ، على مدار العام في الصيف والشتاء[٢] .

فبرزت موانئ على البحر المتوسط مثل باديس[٣] ومليلة وسبتة وطنجة وكان لها دور في الحركة التجارية و لعبت دوراً في الصادر والوارد من السلع على المغرب الأقصى[٤] .

ونشطت موانئ على المحيط الأطلسي مثل سلا[٥] واسفى[٦] ورباط قوز[٧] وازمور[٨] وأغادير[٩] وماسة[١٠] ونول لمطة[١١] .

---

(١) البكري : المغرب ص ١٥٨

(٢) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن ص ٢٦٤ -٢٦٥

(٣) باديس : مدينة على ساحل البحر المتوسط من منطقة الريف شمال المغرب الأقصى . (الحسن الوزان : نفس المصدر ص ٣٢٧)

(٤) الحميري : الروض المعطار ص ٧٥ ، ٥٤٥ ، ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ص ١٣٩ -١٤٠ ، العمري : مسالك الأبصار ص ١٣٧)

(٥) سلا : ميناء على المحيط الاطلسى . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ٣٠٨ ، مارمول كرفجال : أفريقيا ج١ ص ٤٨٩ ج٢ ص ١٣٥)

(٦) اسفى : مدينة على ساحل المحيط الاطلسى قديمة من منطقة دكالة . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٥٧)

(٧) رباط قوز : ميناء على المحيط الاطلسى ، ويعتبر ساحل لأغمات تنزل السفن إليه من جميع البلاد . (البكري : المغرب ص ١٥٣)

(٨) أزمور : على ساحل المحيط الاطلسى في منطقة دكالة عند مصب نهر أم الربيع . (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٦٦)

(٩) أغادير : قلعة واقعة عند النهاية القصوى لجبال أطلس التي تتقدم على المحيط قرب المكان الذي يصب فيه نهر السوس في المحيط الاطلسى (الحسن الوزان : مصدر سابق ص ١٣٠)

(١٠) ماسة : مدينة أسسها الأفارقة على شاطئ المحيط ، وتتكون من ثلاثة مدن صغيرة تبعد كل منها عن الأخرى بنحو ميل . وتقع هذه المدن الصغيرة وسط غابة من النخيل هي من الموارد الرئيسية للمدينة ويمر بالمدينة نهر السوس الكبير ، ولذلك فاغلب أهل المدينة من الفلاحين . (الحسن الوزان : وصف أفريقيا ج١ ص ١١٥)

(١١) نول لمطة : تقع في أول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط (المحيط الأطلسى) بينها وبين وادي السوس الأقصى ثلاث مراحل(١٣٣.٥٦كم) ، منها إلى البحر المحيط ثلاثة أيام(١٣٣.٥٦كم) وبينها وبين سجلماسة ثلاث عشرة مرحلة(٥٧٨.٧٦كم) ، وبينها وبين درعة نحو ثلاثة مراحل(١٣٣.٥٦كم) ، وهى آخر بلاد السوس . (الحميري : الروض المعطار ص ٥٨٤ ، علي جمعة : المرجع السابق ص ٧٠)

وكانت هناك بعض النظم المتبعة في الموانئ التجارية لتوفير أقصى قدر من الحماية والأمان للتجار القادمين للموانئ المغربية ، ولتسهيل عمليات التبادل التجاري. ولذلك كان يجب أن تتوافر بعض الإجراءات الإدارية منها وجود رئيس إدارة الثغر ، وكانت له سلطات هامة يساعده في ذلك أعوان مختصون فكان هو المسئول عن جمع الضرائب والمكوس بالموانئ ، ومعه أجهزة الشرطة والقضاة لحفظ النظام ، ومواجهة الإشكالات التي تنشب مع التجار، والحمالين لشحن السلع أو إنزالها من السفن . وعلى الرغم من أن الفنادق هي المخازن الرئيسية للسلع الواردة إلا أن جزءاً منها كان يخزن في المخازن الموجودة بالموانئ[١] .

وكانت عمليات البيع والشراء تتم في الغالب داخل الموانئ وان كانت في بعض الأوقات تتم في الفنادق ، ويكون البيع عن طريق المزاد العلني ، وكانت إدارة الميناء تقوم بتوفير المترجمين في حالة وجود تجار أجانب لمساعدة البائع والمشترى . وكان المسئول عن الميناء يتولى الإشراف على سداد رسوم البيع ، كما يوجد كاتب خاص بتوثيق عمليات البيع والشراء ، ويوثق الأموال المفروضة على الواردات والصادرات[٢] .

وفى حالة وجود أي خلاف بعد إتمام العقد ، كان بإمكان التاجر الأجنبي أن يلجأ إلى قاضى المدينة لاسترداد حقه ، واذا كانت هناك مشكلة بين التجار الاجانب فقد كان قناصلهم مكلفين بالنظر فيها[٣] .

ولذلك كان يجب أن يتم البيع والشراء للتجارة الواردة في الموانئ ، ولكن في حالة تعذر ذلك فان عملية البيع والشراء تتم أمام شاهدين ، وكان الشهود يحصلون على نسخ من شهادتهم[٤]. وقد ذكر (ماس لاترى) أن المسئول عن الميناء هو من

---

(١) عيسى بن الذيب : مرجع سابق ، ص ١٣٢

(٢) De Mas Latria ,(L.) :Relations et commerce de L'Afrique septentrionale avec les nations chretiennes au moyen age librairie de firmin di dot Paris ,1886.p.185-186.

(٣) مارمول كرفجال : أفريقيا ج٢ ص ١٤٣ ، عاشور بوشامة : علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ٣٤١)

(٤) طاهر احمد مكي : معاهدة تجارية من القرن الخامس عشر الهجري بين سلطان مصر وملك أرغون . مجلة المجلة ، عدد ٤٩ يونيو ويوليو سنة ١٩٦٠ ، ص٩٤

يحدد ساعة إغلاق الميناء والساعات التي يمكن للتجار الصعود أو النزول من مراكبهم إلى أرصفة الميناء[١] .

وكانت مكاتب جباية "المكوس" موجودة في جميع الموانئ التي يسمح للتجار النصارى بالنزول إليها، فكان على التجار دفع المكوس على السلع التي يتاجرون بها. فكان إيراد ميناء سبتة من المكوس في اليوم يتراوح بين خمسمائة إلى سبعمائة دينار وفى بعض الأحيان كان يصل إلى ألفى دينار في اليوم[٢]. وكان من ابرز الضرائب المفروضة على التجار في الموانئ ضريبة " الإعشار " التي كانت القاعدة المتبعة فيها تقضى بان يدفع التاجر المسلم ربع العشر والذمي نصف العشر ويدفع القادم من بلاد الحرب عشراً كاملاً [٣] .

وكان من بين أوجه دعم التجارة ، إصدار قرارات تقضى برفع الضرائب المفروضة على بعض السلع لتشجيع التجار على توفير تلك السلع لاسيما في أوقات القحط التي تتعرض لها البلاد[٤] .

وهكذا كانت الطرق من العوامل الهامة في التجارة ، حيث عن طريقها يتم نقل البضائع والسلع والتجار إلى الأسواق الداخلية أو الأسواق الخارجية.

---

(١) Mas latrie : Relation et commerce.p.195.

(٢) المقري : أزهار الرياض في أخبار عياض ، ج٣ ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقا وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٠م ، ص ٤٢ -٤٤

(٣) يعقوب بن ابراهيم (أبو يوسف) : كتاب الخراج ، تحقيق محمود الباجي ، دار سلامة للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٤٨م ، ص ١٣٥ -١٤٠

(٤) ابن أبى زرع : روض القرطاس ص ٣٧٥ ،

obeikandl.com

الطرق البرية فى المغرب الأقصى

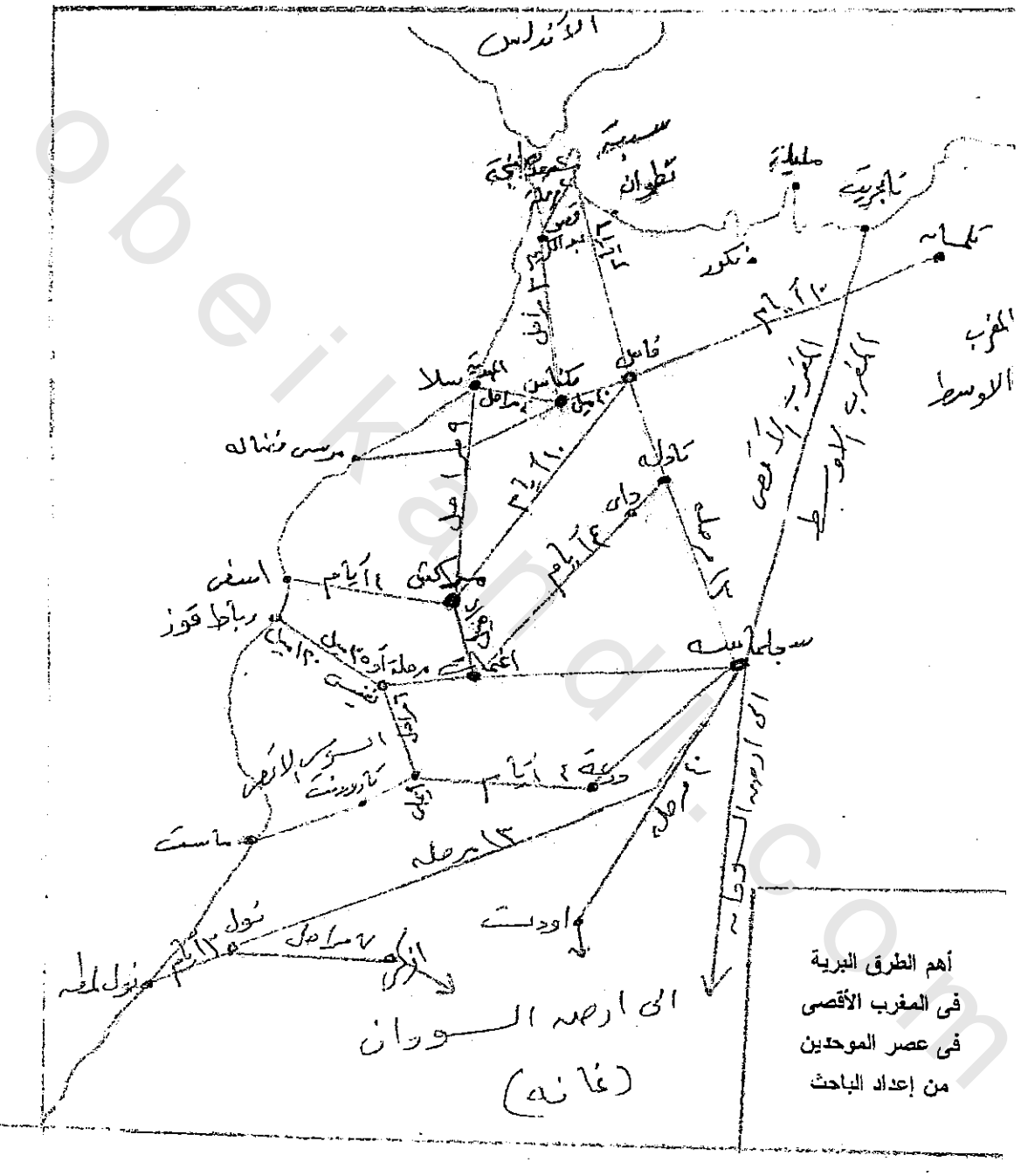

أهم الطرق البرية فى المغرب الأقصى فى عصر الموحدين من إعداد الباحث

obeikandl.com